كيف أدت فدية دُفعت من أجل صقارين من الأسرة الحاكمة إلى إعادة تشكيل الشرق الأوسط

قطر ذهبت إلى أبعد الحدود من أجل تأمين إطلاق سراح صياديها -تضمن ذلك ترحيل مميت للسكان في سوريا

تعتبر صالة كبار الشخصيات في مطار بغداد الدولي صالة نظيفة وهادئة تبعد ربع ميل عن صالة القدوم والمغادرة الرئيسية المليئة بالضوضاء والضجيج. وفي حال كنت تمتلك العلاقات المناسبة إلى جانب 150 دولار أمريكي فحينها يمكنك الانتظار بهدوء على إحدى الأرائك الجلدية البيضاء واحتساء قهوة الإسبريسو والحصول على منظر قريب من طيف الأشخاص الذين يديرون الشرق الأوسط في الوقت الحالي. ففي ظهيرة اعتيادية، قد يكون الركاب الذين يجلسون بجوارك مقاتلون مسلحون قد تدربوا على يد إيران

أو مقاتلون سابقون في فرق الموت الذين نمت ثروتهم على مبدأ الاختلاس. وفي حال بقيت لفترة أطول قد ترى نبلاء نفط الخليج إلى جانب حاشيتهم بزيهم الأبيض، وقد يمرون بجانب أعضاء في الحرس الثوري الإيراني بزيهم الرسمي، أو دبلوماسيون أتراك أو روس. ويأمل جميعهم بترهيب أو رشوة العراق البلد الضعيف بطريقتهم المفضلة. وفي المقابل فالجميع مرحب به طالما يتحدثون بلغة المال. وفي الجدار الموجود في الصالة توجد أجهزة تلفاز ذات شاشات عريضة، إلى جانب جدارية نمطية للعراق القديم، تمكنك من المقارنة بين الفوضى الحالية مع تلك التي حدثت في الماضي. وقبل مغادرتك الصالة سيأخذ مسؤول جمارك يرتدي بدلة سوداء تذكرتك وجوازك ويعود بعد عشر دقائق وترتسم على محياه ابتسامة متذللة ويسلمك وثائق المختومة بكلتا يديه .

ولكن حتى هنا، فالمعاملة الخاصة لها حدود. ففي 15 أبريل من العام الماضي، وصل شخص قطري إلى صالة كبار

الشخصيات في رحلة مسائية أقلعت من عاصمة بلاده الدوحة. وبعد ان عرّف بنفسه كمبعوث حكومي رفيع المستوى، أشار أنه إلى جانب زملاءه الأربعة عشر الذي يرتدون ملابس بيضاء طويلة تسمى بالثوب لا يريدون أن يتم تفتيش أمتعتهم. وقد أحضر القطريين معهم 23 حقيبة سوداء متشابهة صغيرة من نوع "بنينسولا" مصنوعة من النايلون الأسود غطت جزءًا كبيرًا من الأرضية الخشبية للصالة. وكانت هذه الحقائب ثقيلة جدًا، وتزن الوحدة منها أكثر من 100 باوند، إلى درجة أن الحمالين واجهوا صعوبة في إدخالها إلى الغرفة.

إلا ان العراقيين أصروا بكل أدب على ضرورة أن يتم تفتيش جميع الحقائب، حتى في صالة كبار الشخصيات. وهو الأمر الذي صدم قائد هذه المجموعة القطرية، وطلب بأن يتم منحه وقت. وتجمع القطريون لإجراء مناقشة هادئة ثم أجروا اتصالات هاتفية. وفي نهاية المطاف، رضوا وسمحوا

بأن تُفتش الحقائب. وحملت كل حقيبة كومة من مربعات تشابه الطوب ملفوفة بشريط أسود لم يستطع جهاز المسح الضوئي اختراقها. وحينما سأل موظفو الجمارك عن ماذا يوجد بداخلها، رفض القطريين الإجابة. وظلت المواجهة بين الطرفين طوال الليل، وفي النهاية استسلم القطريين باستياء، قبل بزوغ الفجر، واتجهوا إلى بغداد تاركين أمتعتهم خلفهم. وفي وقت لاحق فتح العراقيين الحقائب ووجدوا مزيجًا من الدولارات واليورو تقدّر بحوالي 360 مليون دولار أمريكي. وكانت العملات الورقية لوحدها تزن أكثر من 2500 باوند .

وبعد مرور أسبوع، لا زالت الأموال محتجزة، وغادرت المجموعة القطرية بغداد بنفس الطائرة التي جاءت بها. ولكنهم كانوا مصحوبين بأكثر من عشرين قطري من بينهم أحد أعضاء عائلة آل ثاني الحاكمة في قطر، الذي كان مختطفًا خلال رحلة صيد في جنوب العراق قبل 16 شهرًا.

ولم يتم التطرق إلى ما حصل في هذه الرحلة حتى الأن. إلا أنها تضمنت اتفاقية شملت فدية كبيرة جدًا ومعقدة دفع من خلالها القطريون مبالغ ضخمة لإرهابيين من الطرفين المنقسمين طائفيًا في الشرق الأوسط، مما غذى الحروب الأهلية المتصاعدة في المنطقة.

تجاوزت التكلفة على قطر ما يزيد عن 360 مليون دولار، إلا أنه في نهاية المطاف كان المال أقل أهمية من البعد السياسي للصفقة. ومن أجل استعادة رهائنها، أجرت قطر مفاوضات حول تهجير سكاني محكم ومدروس في سوريا، باستخدام الميليشيات الثائرة التي تمولها للتهجير القسري لكل مواطن في أربع بلدات ذات مواقع استراتيجية. كما أن عمليات التهجير تحرز تقدمًا إزاء هدف طهران الأكبر المتمثل في تحويل سوريا – إلى جانب العراق ولبنان واليمن – إلى دول تابعة لها والتي ستضمن دورًا إيرانيًا مهيمنًا في جميع أنحاء المنطقة. وكانت الصفقة بمثابة صدمةٍ لهدف إدارة ترامب

المتمثل في دحر العدوان الإيراني. وبالنسبة للألاف من الشعب السوري الذين يعانون من المجاعة، فإن ذلك يعني أنهم أصبحوا يندفعون نحو المنفى جراء اتفاقٍ غامض، في ظل عدم وجود دور يذكر للحكومة السورية. كما أن ما وصف في بداية الأمر على أنه اختطاف فظيع، أصبح في نهاية المطاف مقياسًا للقوى الجيوسياسية التي تمزق الشرق الأوسط، وما يندرج تحته ضمن الخسائر البشرية: الفساد والكراهية الطائفية والإرهاب. كما أن كل شخص متورط بذلك لديه شيء ما يخفيه، ربما باستثناء الصيادين التعساء الذين بدأوا هذا الأمر برمته.

وبالنسبة للصقارين العرب، فإن طائر الحبارى – وهو مخلوق ذا أعين بارزة وسيقان طويلة ويقرب من حجم دجاجة كبيرة – هو ملك الطيور التي يتم اصطيادها. كما أنه طائر سريع يحظى بمهارات دفاعية غير عادية. وعندما يتم تضييق الخناق عليه، فإنه يتقيأ مادة خضراء زيتية

يمكنها أن تعمي صقرًا مهاجمًا أو تعيق جناحيه بشكل مؤقت. وفي الأيام التي سبقت اكتشاف النفط في الصحراء العربية، كان يتم استقبال العودة الموسمية في كل خريف لطائر الحبارى بقصائد احتفالية ومطاردة طويلة على ظهور الجمال. وفي ظل أن اللاند روفر جعل الأمور أسهل بكثير، إلا أن مطاردة طائر الحبارى، الذي يقال بأن لحمه القاسي مثير للشهوة الجنسية، لا يزال أحد المطاردات المقدسة – جنبًا إلى جنب مع الخيول الأصيلة واليخوت الضخمة والقصور الفرنسية – والتي تشغل بال ملوك الخليج الفارسي.

وفي أواخر نوفمبر من عام 2015، غادرت مجموعة كبيرة من صيادي الصقور القطريين الدوحة في رتل من مركبات الدفع الرباعي متجهين إلى الجنوب. وعبروا الحدود السعودية ومن ثم تحول الموكب إلى الشمال ومروا عبر جزء من دولة الكويت واستمروا في وجهتهم، وصولًا إلى الصحراء الجنوبية

للعراق التي تبعد عن الدوحة 450 ميلًا. وتتألف المجموعة من عشرات الأشخاص، بما في ذلك الخدم. حيث يقودها تسعة أعضاء من الأسرة الحاكمة في قطر، من أفراد آل ثاني، التي تعتبر أحد أغنى السلالات الحاكمة على وجه الأرض. كما أن منطقة الصيد التي اختارها القطريون –وهي محافظة المثنى العراقية – لم تحظى إلا بعدد قليل من الزوار منذ الغزو الأمريكي في عام 2003. ومما يجدر ذكره أن الصحراء مليئة بالقنابل العنقودية والألغام التي خلّفتها ثلاثة عقود من الحروب المتقطعة. وفي ظل سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على الجزء الأكبر من الشمال وانتشار الميليشيات الشيعية غير المنضبطة في أماكن أخرى، فإن العراق أبعد ما تكون وجهةً سياحيةً مرغوبًا فيها. وسمع القطريون تقارير محيرة حول تصاعد أعداد السكان، على الرغم من التحذيرات بشأن المخاطر المحتملة، إلا أنهم لم يستطيعوا مقاومة هذه الفرصة. وخلال الأسابيع الثلاثة القادمة، كان يتجول الصيادون عبر الصحراء إلى جانب

الحراس الذين استأجروهم، كما كانوا بين فينة وأخرى يهبون هدايا باهظة للبدو لضمان سلامتهم أثناء المرور بهم.

وتتبع عملية صيد الحبارى جدولاً يوميًا ثابتًا. وتبدأ العملية فجراً، حيث تقوم مجموعة من كلاب التعقّب السلوقية النحيلة بالبحث في الأعشاب الجافة حتى تجفل طائر الحبارى من مجثمه. ثم يطلق الصيادون صقرًا مدربًا من قيده الجلدي، ليحلّق في الهواء ويبدأ المطاردة على ارتفاع فوق الصحراء، وتُشكّل ضربات جناح الحبارى البطيئة والقوية نقطة مقاومة رائعة ومذهلة لرفرفة الطير الملاحق وهجماته المفاجئة. وبمجرد أن يقوم الصقر بالهجوم، تحلق الطيور الملتصقة بشكل حلزوني غالباً، متعقبين بشكل متقطع الريش الأبيض المتناثر للضحية. وتنتهي معظم المطاردات بجثوم الصقر فوق فريسته، ويتم مكافأته أحياناً بمنحه وجبة من دماغ الضحية الساخن.

كان الصيادون يصطادون حوالي 5 حباري في اليوم، وهي كمية معتبرة، وبحلول 15 ديسمبر كانوا على وشك العودة إلى الديار. وفي تلك الليلة – عندما تحول هواء الصحراء إلى البرودة الشديدة– كان الرجال يدفؤون أنفسهم من خلال الجلوس حول النار. وكان الخدم حولهم يقومون بأعمالهم، شواء عشاء فاخر ويصبون الشاهي. وبحلول الساعة الثالثة صباحًا، استيقظ أحد أعضاء الصيد – آل ثاني البالغ من العمر 37 عامًا، والذي ادعيه بأبو محمد – جراء دخول أحد الخدم مسرعًا يركض إلى خيمته. (لقد تحدث معي بشرط عدم الكشف عن اسمه). وكان الخادم مرعوب. وقال هنالك جنود في جميع أنحاء المخيم، استيقظ أبومحمد ولبس بسرعة ونظر من خلال الخيمة. حيث رأى رجال يرتدون الزي العسكري وعشرات السيارات والشاحنات مُثبت عليها رشاشات ثقيلة. في البداية، كان يعتقد أن هنالك خلط في الأمر، أو ربما زيارة من قبل الجيش العراقي لتحذيرهم من

خطر ما. ولكن في غضون دقائق، دخل رجال يرتدون أقنعة سوداء إلى خيمته. وكانوا مسلحون برشاشات من طراز أيه كيه-47. وكان أحدهم يحمل لوحة ويقرأ قائمة أسماء. يبدو أنه كان يبحث عن أكبر عضو في أسرة آل ثاني. قاد المسلحون أبومحمد إلى الخارج في الهواء البارد. وفي الخارج – وسط وهج المصابيح الامامية – رأى اقاربه مستلقين على الأرض ووجوههم على الأرض وكانوا مرتدين ثيابهم البيضاء، وكانت أيديهم مقيدة خلفهم. وكان المسلحون يصوبون أسلحتهم عليهم من الخلف. في تلك اللحظة، شعر وبكل تأكيد أن خاطفيهم كانوا تنظيم الدولة الإسلامية ولاحقًا سيقتلوننا جميعًا .

سمع أبو محمد صوتًا من أجهزة اللاسلكي التي يحملها الخاطفون: اتركوا كل شيء واخرجوا الآن. لم يستطيع تحديد اللهجة أو تحديد لصالح من يعملون. ومن ثم قاموا

الخاطفون بدفع القطريين داخل السيارات وعصبوا اعينهم. ثم انطلقوا بمركباتهم مسرعين في ظلمة الصحراء .

وحالما وصلوا إلى طريق معبد، تم إخراج الأسرى من السيارات ودفعهم داخل شاحنات (فانات). وجدوا أنفسهم على الأرض ولا يزالون مكبلي الأيدي ومعصوبي العينين، وفي كل مرة يمر الفان مسرعًا فوق مطب صناعي يرتطمون ببعضهم البعض بشكل مؤلم. وفي وقتٍ ما، التف أحد الخاطفين صوب الرهائن وبدأ يقول أمور سيئة ومهينة عن عائشة – الزوجة الثالثة للنبي محمد. في العالم العربي، يعتبر مثل هذا النوع من الإهانة أمراً واضحاً ومباشراً بما تخفيه الصدور. والسبب أن السنة يُبجلون ويقدرون عائشة، على عكس الشيعة الذين يشتمونها عبر لعنها بأنها تلك المرأة الخائنة التي حاربت ضد علي بن أبي طالب، الذي يعتبر الشخصية المؤسسة للمعتقد الشيعي. وبعد ذلك، أدرك أبو محمد وزملاؤه الرهائن أنهم كانوا في أيدي

ميليشيات شيعية، وليس تنظيم الدولة الإسلامية أو أي جماعة جهادية أخرى.

وبعد قرابة ثلاث أو أربع ساعات من القيادة، توقفت الشاحنات. وكانوا يسمعون صوت طائرات تقلع وتهبط وأصوات جنود. ولكن بالإضافة إلى الأوامر العسكرية والتحيات، كانوا يسمعون "يا حسين". ولم يتمكن الرهائن من تحديد موقعهم، ولكنهم كانوا على الأرجح قرب قاعدة طليل الجوية بالقرب من الناصرية، أحد أكبر المنشآت العسكرية جنوب العراق. وفي لعبة شد الحبل الغربية التي تصور العراق اليوم، فإن جيش البلاد – المدرب والمدعوم من قبل الولايات المتحدة – يعمل حرفيًا جنبًا إلى جنب مع المليشيات الشيعية المدعومة من قبل إيران. وقد تم احتجاز الأسرى في القاعدة لعدة أيام، ثم عصبت أعينهم مرة أخرى وتم اقتيادهم إلى منزل، حيث تم حبسهم في زنزانات في الطابق السفلي.

في وقت من الأوقات – قام أبو محمد – الذي كان يأمل في حل الموضوع على الطريقة القطرية بسحب محفظته من جيبه (وكان الخاطفون قد أخذوا كافة هواتف المختَطفين ورموها من نافذة السيارة أثناء الطريق). قبل أن يقول أبو محمد الذي كان بحوزته 120 ألف ريال قطري، أي حوالي 33 ألف دولار أمريكي: "نستطيع أن ندفع لكم"، ثم أخبرهم بعد ذلك بأن بقية المختطفين يحملون معهم مبالغ أكبر وأن لديهم بالمجمل ما يعادل مئات الآلاف من الدولارات إن لم يكن أكثر من ذلك. لكن قائد المجموعة التي نفذت الاختطاف لم يكن منبهرًا بما سمع حيث رد عليه قائلًا: "أتعتقد أننا نريد أموالك؟."

وكان خبر الاختطاف قد وصل إلى قطر في حوالي الساعة السادسة صباحًا، وقد جرت على إثر ذلك سلسلة من

المكالمات الهاتفية العاجلة بين مسؤولي الحكومة وأفراد الأسرة المالكة. لقد أبرز ذلك الخبر الجانب السلبي لظهور قطر المفاجئ على الساحة السياسية. يُذكر أن قطر، الجزيرة الصغيرة جدًا التي تأخذ شكل إصبع الابهام في بحر الخليج الفارسي، قد قفزت من الفقر إلى الثراء الفاحش في غضون ثلاثة عقود فقط بفضل احتياطات الغاز الموجودة تحت أراضيها وعلى طول خطها الساحلي. إن إجمالي الناتج المحلي القطري يصل إلى 181 مليار دولار أمريكي في حين أن عدد سكانها لا يتجاوز 300 ألف نسمة، كما لا تتجاوز مساحتها مساحة مدينة بيتسبرغ الأمريكية. وتقع قطر بين أكبر قوة شيعية في المنطقة (إيران) وأكثر الدول السنية نفوذًا (السعودية). وحاولت قطر منذ تسعينات القرن الماضي أن تحمي نفسها من خلال المبالغة في مغازلة واستفزاز كل الأطراف في نفس الوقت. فقد تقاربت مع سوريا وإيران وحزب الله، "المحور الشيعي" الصاعد في المنطقة، مما أغضب السعوديين والأمريكيين كذلك. وفي نفس الوقت،

قامت قطر أيضًا بالتقارب مع الدول السنية الأخرى باستخدام ثروتها التي لا حصر لها في التوسط لعقد الاتفاقات الدبلوماسية في لبنان واليمن. ولقد قامت قطر كذلك بفتح قناة الجزيرة، الفضائية التي تُسعد الجماهير بخطابها المعادي للولايات المتحدة على الرغم من أن قطر نفسها تحتضن أكبر قاعدة عسكرية في الشرق الأوسط.

ولكن خلال السنوات القليلة الماضية، تسببت هذه السياسة القطرية في نتائج عكسية. فمع اندلاع ثورات الربيع العربي في عام 2011، قامت قطر بتمويل جماعة الاخوان المسلمين في كافة أنحاء المنطقة، حيث كانت تنظر إليها على أنها قوة متعاطفة مع الشعبوية السنية في منطقة تتجه بتزايد نحو الديموقراطية. هذا الموقف القطري أغضب السعوديين والاماراتيين كثيرًا – فعلى الرغم من أنهم من أتباع جماعة السنة، حالهم كحال الاخوان المسلمين – إلا أنهم كانوا ينظرون إلى الجماعة بصفتها مصدر تهديد على

نموذجهم الاستبدادي في الحكم. كما قامت قطر كذلك بمقامرة خطيرة أخرى تمثلت في دعمها لعدد من الفصائل السنية الثورية المسلحة في سوريا (بما فيها فرع محلي لتنظيم القاعدة)، على أمل ترجيح كفتهم في الحرب الأهلية الدائرة هناك وضمان ولائهم لقطر فيما بعد. لكن الحرب في سوريا طال أمدها وقد أصبح الثوار أكثر تشددًا وهو ما تسبب في تشويه سمعة قطر لارتباطه بتلك الجماعات الإرهابية. وفي النهاية، نجحت قطر في استعداء كلا جانبي الانقسام الطائفي المتفاقم.

وفي غضون أيام من اختطاف الصيادين، قررت الحكومة القطرية أنه من شبه المؤكد أن العائلة المالكة تحتجزها ميليشيا شيعية لها علاقات مع إيران. وهو ما يضع مصيرهم فعليًا في يد رجل ربما يكون الضابط العسكري الأقوى في الشرق الأوسط هو: الجنرال الإيراني المدعو قاسم سليماني. إذ يشرف سليماني، القائد الصارم ذو العينين الغائرتين،

على فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني، إلى جانب شبكة واسعة النطاق من القوات الحليفة والحلفاء في جميع أنحاء المنطقة. وهو يقدم تقارير مباشرة إلى الزعيم الإيراني الأعلى، آية الله علي خامنئي، ويعتبر على نطاق واسع ذا نفوذاً أكبر من ذلك الذي يتمتع به وزير الخارجية الإيراني بل وحتى رئيس الدولة. لقد كان سليماني المسؤول عن توجيه الجهود الإيرانية الناجحة لعرقلة السياسة الأمريكية في العراق منذ الغزو الأمريكي بعام 2003؛ وقد وصفته مجلة Wired في عام 2012 بأنه "أخطر رجل في العالم".

وبدا اهتمام سليماني بأموال الفدية ضعيف. فلقد كانت أولويته القصوى سوريا على مدى سنوات، حيث حاربت إيران بقوة لدعم نظام الرئيس بشار الأسد. لقد كانت سوريا بمثابة شريان الحياة لإيران منذ الثمانينيات، عندما بدأت الجمهورية الإسلامية الجديدة أولاً بشحن الأسلحة عن طريق الأراضي السورية إلى حزب الله، الذي يعمل كذراع

خارجي لإيران في لبنان. وعندما اندلعت الحرب الأهلية السورية في عام 2011، أصبح هذا الشريان فجأة تحت الخطر. وتدخلت القوى السنية والشيعية الكبرى في المنطقة في الأزمة السورية، وحولت التحركات الديمقراطية للربيع العربي إلى ساحة معركة طائفية. وبالنسبة للسعوديين وحلفائهم، كان دعم الثوار السوريين بمثابة فرصة ذهبية للإطاحة بالأسد، ودفع سوريا نحو الجانب السني في لوحة الشطرنج وعزل إيران. أما بالنسبة لسليماني، الذي قاد القوات العسكرية الإيرانية في سوريا، أصبحت الحرب الأهلية بمثابة كفاح وجودي للحفاظ على حليف بلاده الموثوق الوحيد.

وأصبح الرهائن القطريون فجأة بيادق قيمة في هذه اللعبة الجيوسياسية. وكانت قطر تتمتع بنفوذ قوي على فصائل الثوار التي يعتقد بانها تمولها، وهذا النفوذ من الممكن أن يكون مفيداً لخبير استراتيجي مثل سليماني. وتحول نهجه في

سوريا مع تحول أرض المعركة إلى مأزق دموي. وبحلول عام 2015، كان سليماني وحلفاؤه من حزب الله يبحثون عن طرق جديدة لتعزيز السيطرة على مناطق رئيسية معينة بالقرب من العاصمة السورية: ليس فقط قتل الثوار المقاتلين بل أيضاً طرد السكان المدنيين السنة الذين قاموا بدعم وحماية الثوار. وفي نهاية المطاف، كانوا يأملون في إعادة إعمار تلك البلدات بسكان شيعة أقل تمرداً. لقد كان مخططاً طموحاً ومثيراً للجدل، مع وجود طابع مظلم فيه للتطهير العرقي. ولكن إذا نجح المخطط، فيمكن أن يرسخ النفوذ الإيراني في سوريا على المدى الطويل.

وقبل أن يتم أخذ الرهائن القطريين، بدأت إيران في عملٍ جريء لجعل هذا التحول الديموغرافي يحدث. ففي اجتماع سري في إسطنبول بتسهيل من الأمم المتحدة في سبتمبر من عام 2015، اقترح مبعوث من فيلق القدس التابع لسليماني اتفاقاً متكافئاً والذي عرف باسم " اتفاق البلدات الأربع".

حيث سينهي حزب الله حصاره على اثنين من معاقل الثوار السنة في سوريا بالقرب من الحدود اللبنانية، مضايا والزبداني، التي شكل سكانها تهديداً مستمراً على نظام الأسد في دمشق. وفي المقابل، سينهي الثوار الممولين من قطر حصارهم على بلدتين شيعيتين في الشمال الغربي، الفوعة وكفريا. وهذه الصفقة كانت ستحقق هدفين لإيران: التخلص من تهديد الثوار في منطقة استراتيجية، بينما يتم إنقاذ الشيعة المعرضين للخطر في الشمال، والذين كانت محنتهم بمثابة صيحة استنفار مستمرة لقاعدة حزب الله الشيعية.

وكانت تفاصيل الصفقة غامضة في البداية، ولكن في وقت ما، اقترح الإيرانيون أن يتمكن السكان من تبديل المدن، حيث يتبادل السكان السوريون السنة والشيعة الأماكن، وربما يسكنون منازل بعضهم البعض. ولقد أظهروا هذه الخطوة وكأنها بادرة إنسانية: إذ أن إنهاء الحصار سيفيد

الناس في جميع البلدات الأربع. ولكن المتحدثين باسم الثوار في إسطنبول رفضوا الفكرة بأكملها وهم غاضبين، ووصفوها بأنها جهد متعجرف لإعادة تشكيل خليط سوريا الطبيعي من ديانات ومجموعات عرقية في حسابات طائفية بدائية.

ومع وجود الصيادين القطريين المخطوفين، اكتسبت إيران بعض النفوذ القوي على نفس هؤلاء الثوار- أو بالأحرى، على مانحهم الرئيسي في الدوحة. وعادت خطة إخلاء البلدات الأربع، التي لم يتم الاتفاق عليها بعد المحادثات في إسطنبول، إلى الطاولة مجدداً.

ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى وضح وكلاء سليماني هذا الأمر للحكومة القطرية. وبكون مبعوثهم هو حزب الله، المجموعة الوحيدة التي لديها صلات ثقة مع كل الأطراف المعنية:

طهران والدوحة والميليشيا الشيعية التي احتجزت الرهائن في العراق. وسمح العمل من خلال حزب الله لإيران بالحفاظ على بعض السيطرة على مفاوضات الفدية، والتي ربما لكانت انتهت عن طريق دفعة نقدية سريعة للخاطفين العراقيين. وبدلاً من ذلك، أرسل حزب الله مبعوثاً رفيع المستوى إلى الدوحة وجعل الشروط واضحة جداً: سيتم إطلاق سراح الأسرى مقابل مساعدة قطر في جعل صفقة البلدات الأربع تحدث.

ووافق القطريون، الذين كانوا مهتمين بسلامة الأمراء أكثر من العواقب الكبيرة للصفقة، مباشرة على استضافة سلسلة طويلة من المحادثات تضم مختلف الأطراف في صفقة البلدات الأربع: حزب الله والإيرانيين والميليشيا الثائرة. ولأنه من الصعب تخيل جمع هذه الأطراف مع بعضها البعض في طاولة واحدة، يبدو وأنهم قد اجتمعوا بشكل منفصل مع محاوريهم القطريين. وتوقفت معظم

المحادثات على الخدمات اللوجستية. فنقل المدنيين في منطقة حرب سريعة التحول ليس بالأمر الهين، وكانت هناك العديد من الاختلافات التي يجب التوصل إلى حل لها. وقد عارضت بعض الميليشيات الثائرة فكرة نقل السكان بشدة، والنظام السوري- الذي لم يكن طرفاً في المحادثات – لم يكن حريصاً على هذه الفكرة أيضاً. وتم التخلي عن خطة تبادل سكان البلدات الأربع الشيعة والسنة باعتبارها خطة طموحة للغاية. وبدلاً من ذلك، سيتم نقلهم إلى مناطق آمنة، مع وضع مستقبل كل بلدة على حدة. ولكن هذا لوحده تطلب بعض التنسيق بين الفصائل المسلحة من الأطراف المتنازعة في الحرب. ولعب المال دوراً كبيراً في تذليل جميع هذه العقبات. فالثوار السنة الحليفين لقطر لم يكونوا ليوافقوا على مخطط إيراني بدون مقابل.

ولكن مع مرور الأشهر، لم يكن هناك جدول زمني لإطلاق سراح الرهائن. وبدا القطريون يائسين وتساءلوا عما إذا كان

الإيرانيون سيطلقون سراح الرهائن أم لا. وبدأوا في البحث عن طرق أخرى، وجاء موكب يتكون من وسطاء مريبين إلى الدوحة لتقديم خطط إنقاذ مقابل مبالغ نقدية ضخمة. وبدا أحد المسؤولين القطريين مستمتع على استحياء من كمية العروض المشبوهة التي جاءت حين تحدث معي، وقال:" أتذكر أن رجلاً إيرانياً قال: يمكنني إخراجهم مقابل 20 مليون دولار". ودفع أحد أفراد الأسرة المالكة القطرية 2 مليون دولار لشركة تدعى جلوبال استراتجيس كونسل (Global Strategies Council)، والتي يديرها بائع أحذية يوناني. ولم يكن أي منها مفيداً. وشعر القطريون بالإحباط الشديد، كما أخبرني أحد الدبلوماسيين السابقين في الدوحة، لدرجة أنهم فكر في حل عنيف: غارة عسكرية لتحرير الأسرى. ومن شبه المؤكد أن قطر كانت تفتقر إلى المعرفة اللازمة للنجاح في هذه الغارة. ولكن حقيقة مناقشة هذه الخطة تبين أن الأمير كان تحت ضغوط هائلة من

سكانه القليلين المكونين من قبائل لإحضار الرهائن إلى أوطانهم.

لقد استغرق الأمر ما يقارب الـ 16 شهراً حتى يجد القطريون الرجل المناسب والذي يتمتع بالنفوذ والعلاقات المناسبة لإنهاء هذه الصفقة. ولقد حدث هذا في أوائل شهر أبريل من عام 2017 خلال الاجتماع السنوي لوزراء الداخلية العرب الذي عقد في تونس. حيث تعرف الوزير القطري على نظيره العراقي، قاسم الأعرجي، وهو رجل له علاقات عميقة في عالم الميليشيات الشيعية. وأمضى الأعرجي، ذو الوجه العريض والذي يبلغ من العمر 54 عاماً، سنوات عديدة في المنفى في إيران وتم حبسه مرتين من القوات الأمريكية في العراق قبل عقد من الزمن للاشتباه في تهريبه وتوزيعه للأسلحة المستخدمة في مهاجمة القوات الأمريكية. (وتم إطلاق سراحه لعدم كفاية الأدلة).

وقال الأعرجي إنه يعرف من احتجز الرهائن، رغم أنه لم يذكر اسم المجموعة. وكما تبين، لقد كانت كتائب حزب الله هي المسؤولة، وهي فصيل شيعي تأسس في العراق قبل عقد من الزمان وشن مئات الهجمات على الجنود الأمريكيين، وتم تدريب وتمويل هذا الفصيل من قبل فيلق القدس الإيراني، كما كان الفيلق يشرف عليه. وقال الأعرجي إن لديه خطة لتحرير الرهائن، وفقاً لمسؤول قطري رفيع المستوى الذي سرد المحادثة لي. ولكن الخطة جاءت بشرط غير اعتيادي. أراد الأعرجي السلطة للتوسط في إطلاق سراح الرهائن شخصياً، وألمح إلى أن نظيره القطري يجب أن ألا يقول شيئاً عن هذا الأمر لأي شخص آخر في الحكومة العراقية، حيث تخلق الانقسامات الطائفية والسياسية مصالح مختلفة. ووافق القطريون على ذلك.

وكان المال جزءا من الاتفاق، وهي التحلية التي يمكن إضافته على صفقة البلدات الأربع. ولقد أخبرني المسؤول القطري الذي وصف الاجتماع لي بأكبر قدر ممكن من المعلومات، وتابع قائلاً إن الأموال كانت تهدف إلى تمويل ميناء جديد وسفارة في بغداد. وبدا غير مرتاحاً عندما قال ذلك-حيث بدا وجهه بالاحمرار وعيناه تطرف لاإراديا-لدرجة أنه لم يكن لدي الشجاعة لأقول بكل وضوح: أن هذه قصة تستر واضحة بشكل فاضح من أجل دفع الفدية الكاملة.

وبعد أسبوع، وصل فريق التفاوض القطري إلى بغداد حاملاً 23 حقيبة. وسرعان ما اكتشفوا أن قاسم الأعرجي بالغ في وصف سلطته على الحكومة العراقية (ومطار بغداد) بشكل واسع. وفي بغداد، رأيت صوراً ملتقطة في تلك الليلة للطوب الذي يغطي الأموال في آلة المسح والقطريين الغاضبين الواقفين في صالة الشخصيات المهمة، وتحيط بهم حقائب قماشية سوداء. وعندما اكتشف رئيس الوزراء العراقي حيدر

العبادي ما كان يخطط له القطريون، غضب وقرر وضع حد فاصل مع إيران ووكلائها. وأرسل فريقاً مسلحاً لمكافحة الإرهاب لحراسة الـ23 حقيبة من النقود والتأكد من عدم تمكن أي شخص من إرسالها للخاطفين. وبعد أن استسلم الفريق القطري وشق طريقه إلى بغداد، تمكن العبادي أخيراً من نقل الأموال إلى سرداب في البنك المركزي العراقي.

وتم اقتياد القطريين من المطار مباشرة إلى المنطقة الخضراء المؤمنة في بغداد بترتيب سابق، في دار ضيافة لرئيس الوزراء حيدر عبادي – وهو نفس الشخص الذي احتجز أموالهم البالغة 360 مليون دولار.

وهدد تدخل العبادي بعرقلة صفقة تم تدبيرها بعناية خلال أشهر من الاجتماعات في الدوحة. وكان من المفترض أن يتم تسليم الـ 23 حقيبة النقدية في نفس الوقت الذي كان فيه

حلفاء المتمردين في قطر ينفذون شروط اتفاق البلدات الأربع. وفي ذلك اليوم نفسه، كان رجال المليشيا السنة يرعون مكرهين المدنيين الشيعة على متن حافلات خضراء ويسافرون معهم على الطريق إلى حلب، حيث كان من المنتظر إيواؤهم بمساعدة النظام السوري. وبموازاة ذلك، على بعد 200 ميل جنوبًا، كان مقاتلو حزب الله يستعدون لإبعاد آلاف الأشخاص من مضايا والزبداني.

ولم يكن مبلغ الـ 360 مليون دولار على المحك فقط. فمن أجل ضمان دعمهم لعمليات نقل السكان، دفعت قطر للمليشيا السنية – جبهة النصرة وأحرار الشام – ما لا يقل عن 50 مليون دولار، كما أخبرني مسؤول عراقي كبير وحتى أشخاص مقربون من الجماعات المتمردة.

وأمضى المبعوثون القطريون جُل يومهم الأول في بغداد مستخدمين هواتفهم النقالة على كلا الجبهتين. فكان عليهم مراقبة عمليات النقل المدنية الجارية في سوريا، وكانوا يائسين من استعادة الـ 23 حقيبة النقدية. وقاموا بتجنيد كل شخص يعرفونه في العراق لمساعدتهم، بما في ذلك المليشيات الشيعية. وقاموا بدعم مناشداتهم، كما أخبرني العديد من المسؤولين العراقيين، بحملة رشوة مخزية من شأنها أن تستمر أسبوعًا، مقدمين مبالغ ضخمة وشققًا فاخرة في الدوحة ودبي لضباط وأعضاء الحكومة والمشرعين. غير أنها لم تجدي نفعًا في استعادة الـ360 مليون دولار من العبادي وحلفاءه.

وقبل نهاية اليوم، حدث شيء ما سلط ضوء جديد مقرف على الحسابات الباردة المحيطة باتفاق البلدات الأربع. ففي الساعة الثالثة والنصف عصرًا، توقف صف حافلات تقل مدنيين من البلدتين الشيعيتين، الفوعة وكفريا، عند نقطة

تفتيش في منطقة تسمى الراشدين، غرب حلب. ووصلت شاحنة هونداي بورتر لونها أزرق داكن وأوقفت بجانب أحد الباصات. وبعد مرور عدة ثواني انفجرت.

كان الانفجار قويا بشكل غير اعتيادي. حيث تظهر الصور القادمة من المشهد حافلة ذات لونين أخضر وأبيض، تهشمت نوافذها، وداخليتها احترقت بفعل الحريق. وقيل إن 126 شخصا قتلوا في الانفجار، وغالبيتهم من المدنيين الذين تم إجلاؤهم، من بينهم 68 طفلا. واصيب المئات. ولا أحد يعرف بالتحديد من الذي نفذ هذا الاعتداء، ولكن يعتقد الأشخاص الذين تحدثت معهم أن التفجير كان بقصد إيقاف صفقة الأربع بلدات، التي اعتبرها الكثير من المتمردين والجماعات الجهادية بمثابة هدية لإيران.

وكانت صور الظاهرة للحافلة التي اشتعلت فيها النيران بمثابة تذكير وحشي بأن اتفاق البلدات الأربع لم يكن مجرد مفاوضات خفية وحقائب نقدية. فقد اجبرت العائلات الموجودة في تلك المواكب على مغادرة منازلها. ويرى المسؤولون القطريون الذين تحدثت إليهم أنهم كانوا يشاركون في عملية إنقاذ إنسانية لضحايا الحصار، وهذا ما أخبرني به كذلك بعض أعضاء الجماعة المتمردة أحرار الشام. ولكن العديد من السوريين رأوا عمليات النقل على ما كانت عليه – كما لو كانت منفى قسري، لملائمة خطة جاءت بتدبير أجنبي – وكانوا غاضبين. وكان هذا ينطبق بشكل خاص على أولئك الذين يقطنون البلدات السنية، مضايا والزبداني. حيث إن معظم السكان كانوا ممانعين للانتقال حتى بعد سنوات من الحصار الذي خلف مئات من القتلى جراء المجاعة وقناصة حزب الله.

وجمعتني محادثة فيديو مع مدني يدعى علي سعيد الذي فر مكرهًا من مضايا. وهو يبلغ من العمر 52 عاماً، وهو رجل صغير الحجم ولكنه رجل عريض الاكتاف، وصاحب أنف كبير، وشعر قصير، ويغلب على مظهره التحدي العنيد المترسخ على ملامحه. قال لي إن حصار حزب الله على مضايا قد حول المدينة إلى معسكر اعتقال افتراضي. وقال لي: "كان الناس يأكلون في البداية من خلال احتياطيهم من الطعام الجاف، ومن ثم بدأوا في أكل أوراق الشجر والعشب". ورفع علي سعيد هاتفه المحمول بوجه الكاميرا ليريني صور أطفاله، حيث سقط أحدهم على رأسه أثناء الفرار من قناص وتوفي بعد ذلك بقليل.

ولكن غطرسة خطة عمليات النقل نالت منه خلال مكالمتنا. فبعد أن علِم عن اتفاق البلدات الأربع، واجه قائد حزب الله عند نقطة تفتيش خارج مضايا مباشرة. قال لي علي سعيد: "كنت منزعج". وأضاف: "قلت ،" أنت قادم إلى هنا

لتشريدنا، وللسيطرة على أرضنا. ورد علي ضابط حزب الله قائلا: "إذا كنت غير مقتنع بالرحيل، إذًا مت جوعًا".

واستؤنفت عمليات نقل السكان على الرغم من التفجير، وفي غضون أيام قليلة، اكتمل اتفاق البلدات الأربع إلى حد كبير. وفي إحدى الليالي، في نفس الوقت تقريبًا، خرج خلسة الفريق القطري المفاوض في بغداد من المنطقة الخضراء بسيارة دفع رباعي. وقد غيروا سياراتهم مراراً وتكراراً في محاولة فاشلة لتجنب أنظار المسؤولين العراقيين وانتهى بهم المطاف في لقاء مع ميليشيا شيعية في حي الكرادة. وفي اجتماعهم، عُرض على القطريين دليلاً يثبت بأن الرهائن لا يزالون على قيد الحياة – وهو مقطع فيديو حديث للرهائن. ومن ثم، فجأة دون مقدمات، بدأ الفريق القطري بحزم حقائبه وطلب من مضيفيه الحصول على إذن لمغادرة البلاد. وكانت الحقائب الثلاثة والعشرون لا تزال في خزنة

بنك عراقي، ولكن يبدو أن القطريين وجدوا بطريقة ما وسيلة أخرى لتلبية مطالب الخاطفين.

وعلى الفور تقريباً، في سجن القبو جنوب بغداد، حصل أبو محمد والأعضاء الآخرون من العائلة الملكية القطرية على مفاجأة مثيرة من حراسهم: أنهم سيستحمون ويحلقون شعورهم. لقد حان الوقت للذهاب. وقد نقلوا إلى الطابق العلوي وفي ضوء الشمس، أعينهم تتألم من السطوع. حيث إنهم قضوا 16 شهراً في قبو بلا نوافذ في جنوب العراق، على بعد بضع ساعات بالسيارة من المكان الذي تم اختطافهم فيه. وكان نظامهم الغذائي الهزيل في السجن جعلهم ضعفاء. لقد أمضوا النصف الأول من محنتهم معزولين تماماً عن العالم، مع وجود كتب قرآن واحد يمكنهم قراءته. وفي وقت لاحق، أعطاهم الحارس جهاز تلفاز، وشاهدوا الأخبار، وشاهدوا تقارير عن صفقة سياسية قيل إنها تطبخ على نار هادئة في سوريا، تشمل الرهائن وعمليات تبادل

سكاني. وقال لي أبو محمد: "اعتقدنا أن هذا الأمر على علاقة بنا".

وتم اقتياد الرجال إلى الخارج نحو منزل يبعد ساعتين والذي بدا وكأنه مزرعة خاصة فاخرة. وفي الداخل، بالانتظار في غرفة استقبال كبيرة، كان هنالك الرهائن غير الملكيين، الذين كانوا محتجزين في مكان منفصل. احتضن الرجال وبكوا، وبدأوا بتبادل القصص. ما أذهلهم هو أنهم اكتشفوا أن المجموعة الأخرى – التي يُنظر إليها على أنها بريئة من سياسات بلدهم – قد عوملت بشكل أفضل بكثير من آل ثاني أثناء احتجازهم، حيث توفر لهم الطعام الكافي، والاستحمام والحراس المحترمين.

وفي اليومين التاليين، تمت معاملة آل ثاني مرة أخرى مثل الملوك. أتى وذهب الخدم، معاملينهم بلطف. ووضع لهم وجبات الطعام. عوضا عن المرق والأرز، وتناولوا أكلة المسقوف، وهو طبق سمك عراقي تقليدي بالتوابل ومشوي على موقد نار خارجي. وفي إحدى الليالي قُدمت لهم خروف مشوي. وقد عاملهم الحاضرون مرارًا وتكرارًا على أنهم "ضيوفنا" واعتذروا لهم عن إساءة معاملتهم في السابق. وفي صباح يوم 21 إبريل، تم نقل الرهائن القطريين إلى بغداد وأقيم لهم حفل وداع في وزارة الاستخبارات قبل توجهم إلى المطار.

وأخبرني أبو محمد أنه هو والرهائن الآخرون يخشون من أن تواجههم مشكلة ما حتى النهاية. وقال: "شعرنا بارتياح تام فقط عندما أقلعت الطائرة". وتابع: "لقد كان أشبه بالحلم. شعور بالسعادة". كانت الرحلة التي استغرقت ساعتين إلى الدوحة مليئة بالضحك. وكان أقارب الرجال ينتظرون في

المطار عندما وصلت الرحلة في ذلك المساء. وتأثرت فرحتهم بصدمة رؤية حالة الرجال: فقد كانت أجسامهم هزيلة وأعينهم غائرة. وقد خسر أبو محمد 40 باوند من وزنه. ولكن أمير قطر كان هناك أيضا، وقبلهم جميعًا، واغرورقت عينيه بالدموع، عندما خرجوا من الطائرة.

لا يزال هناك غموض في قضية القطريين المختطفين. إذ كيف تم الإفراج عن الرهائن على الرغم من مصادرة الـ 360 مليون دولار؟ أعطاني أحد المسؤولين العراقيين البارزين الجواب التالي: وافق القطريون على تقديم مدفوعات مالية أخرى، عبر بيروت، بنفس المبلغ تقريباً. (أخبرني الشخص الذي أجرى المكالمة الأخيرة لإطلاق سراح الرهائن، وهو مسؤول آخر، بأن قاسم سليماني من قام بذلك.) أما بالنسبة لموقع تسليم المال، فقد كان أمراً

منطقياً: إذ يمتلك حزب الله سيطرة صارمة على مطار بيروت ولن يواجه صعوبة في ضمان عبور الأموال. إذا كان هذا صحيحًا، فسيكون إجمالي المبلغ الذي دفعته قطر للرهائن 770 مليون دولار على الأقل، وربما أكثر بكثير. كما سمعت تقارير عن عدة دفعات أخرى بملايين الدولارات إلى وسطاء مختلفين لم أتمكن من تأكيدها. وهناك أيضاً مبلغ مليوني دولار دفعه أحد أفراد عائلة آل ثاني إلى بائع أحذية يوناني، ورشاوي دفعها مبعوثين قطريين افتراضياً خلال أسبوعهم في بغداد. من السهل أن تتوقع اقتراب المجموع من المليار دولار.

وينفي المسؤولون القطريون تقديم أي مدفوعات باستثناء النقود التي تم تقديمها من خلال الـ 23 حقيبة. وما زالوا يصرون على أن الأموال كانت مخصصة للحكومة العراقية فقط، ولعدة استثمارات في العراق، و "للمساعدة في تسهيل إطلاق سراح الرهائن القطريين". عندما سألت لماذا قام

الخاطفون بإطلاق سراح المحتجزين حتى بعد أن تم مصادرة دفعة الـ 360 مليون دولار، قال لي مسؤول قطري (بشكل غير مقنع) أن المال لم يكن بتلك الأهمية.

وبعد عام تقريباً، ما زال بالإمكان الشعور بتأثير صفقة الفدية القطرية، من الدوحة إلى واشنطن. وأصبحت البلدات الأربع في سوريا خالية إلى حد كبير – ويتشبث بضع مئات من الناس ببيوتهم في البلدات الشيعية شمالاً، وبعضهم ما زال في مضايا والزبداني. كما يواصل الثوار الجهاديون في سوريا معركتهم، مما أدى إلى سقوط قتلى بشكل متواصل في ساحة المعركة وتفككهم. يبدو أن الصفقة قد عمقت الفجوة بين الثوار والأشخاص الذين يدّعون أنهم يمثلونها. وأخبرني علي سعيد، المنفي من مضايا، أن مشاركة ميليشيات الثوار في مخططٍ لإجبار الناس على ترك منازلهم كانت خيانة جبانة للثورة ضد الأسد. وقال: "الله يهلكهم،"

لكن تأثير أثقل صفقة للفدية قد يعود الخليج. فالسعوديين والإماراتيين، الذين لطالما استاءوا من رعاية قطر للإخوان المسلمين، أغضبتهم التقارير بشأن دفع مبالغ باهظة للمليشيات الشيعية. فقاموا في 5 يونيو، بحصار اقتصادي كامل. وأصدروا قائمة شديدة الصعوبة من المطالب، تشمل القائمة، إغلاق قناة الجزيرة والمرفق العسكري التركي، وتقديم تعويضات مالية مقابل سنوات من الأخطاء المفترضة. ورغم أن الحصار قد تم الحديث عنه لشهور، فإن صفقة الفدية قد شكلت حجة مفيدة.

وبدأت الفدية أيضا في الظهور، في كثير من الأحيان في صورة مُحرّفة للغاية، عبر هجوم علاقات عامة مموّل من السعودية ويصور قطر على أنها منبع الإرهاب. وكانت الحملة المناهضة لدولة قطر خليطاً من الادعاءات الحقيقية

والكاذبة أو المشكوك فيها، وعمدت فقط إلى تلويث المياه حول الفدية وإلقاء المسؤولية بشكل أكبر على دولة قطر بخصوص تمويل الجماعات الإسلامية. ويبدو أنه ذلك له تأثيره الإيجابي على أحد الجماهير المهمين: وهو دونالد ترامب. إذ حتى في الوقت الذي ناضل فيه وزير الخارجية ريكس تيلرسون لإصلاح الخلاف بين شركاء أميركا في الخليج، قام ترامب بتقويضه بطريقة علنية للغاية، مما أوضح أنه كان يقف إلى جانب أصدقائه السعوديين الجدد. (وتم استقبال ترامب بشكل فخم خلال زيارته للرياض في شهر مايو، وقام بتأدية رقصة باستخدام السيف مع الملك، وظهر في صورة فوتوغرافية مع كرة كبيرة متوهجة بشكل غريب مما أثار سلسلة لا نهاية لها من نظريات المؤامرة). وزاد إحباط تيلرسون بشدة بسبب تدخل ترامب وصهره جاريد كوشنر، حيث ورد أنه هدد بالاستقالة في وقت لاحق من الصيف، وكان يجب إقناعه بالبقاء من قبل وزير الدفاع جيم ماتيس وجون كيلي، الذي أصبح الآن رئيس موظفي البيت الأبيض.

وحاول تيلرسون مرة أخرى إنهاء الحصار خلال زيارة أخرى للخليج في أكتوبر، لكنه لم ينجح.

لأي درجة يمكن لوم قطر على هذا الحطام؟ حيث قد شاركت في فديات تقدر بملايين الدولارات لتحرير أسرى القاعدة من قبل، بما في ذلك امرأة سويسرية أُحتجزت في اليمن في عام 2013. بالإضافة لصديقي ثيو بادنوس الذي كتب في هذه المجلة عن معاناته لمدة عامين بعد اختطافه في سوريا، وتم إطلاق سراحه من خلال وساطة قطرية وربما عبر أموال قطرية. إن كان القطريون قد دفعوا حقاً ما يقارب 400 مليون دولار إلى كتائب حزب الله (وهي الجماعة التي أدرجتها الولايات المتحدة كمنظمة إرهابية)، فإنها ستتسبب في استمرار إراقة الدماء وبشكل أكبر. وعلاوة على ذلك، إذا تم دفع المال عن طريق بيروت، فمن الطبيعي أن نفترض أن حزب الله (الذي تم إدراجه أيضًا كمجموعة إرهابية) قد حصل على حصة. وإن مبلغ 50 مليون دولار

المدفوع إلى جبهة النصرة (مجموعة أخرى على قائمة الإرهاب) وأحرار الشام يبعث على القلق أيضاً، على الرغم من حقيقة أن تلك الجماعات تشكل تهديداً في الغالب لنظام الأسد وحلفائه وليس للغرب.

ولكن في النهاية، يبدو الأمر كما لو أن القطريين كانت حماقتهم تفوق خبثهم، حيث كانوا ثملين على أموال الغاز الطبيعي، وغافلين عن عواقبه القاتلة. وألقوا الأموال يمنة ويسرة في مساعٍ خرقاء للتلاعب بسياسات منطقة متقلبة، لقلب الطاولة فحسب. وأخبرني أحد المسؤولين القطريين الذين عملوا على عملية الخطف، بنظرة حزينة في عينيه: "الناس يتهموننا بالعمل مع حزب الله – لكن انظروا ماذا فعلوا بنا!"

أما بالنسبة لآخر ألغاز **قصة الفدية**، بالنسبة لي على الأقل، فقد كان في أصلها: لماذا ذهب الصيادون إلى جنوب العراق في المقام الأول؟ فهم يعرفون مدى خطورة ذلك. فمجموعة كبيرة مثلهم، تقوم بتوزيع الهدايا النقدية للبدو المحليين والتخييم برفاهية مبالغ فيها، تُعد صيداً سهلاً وسخيفاً للميليشيات الشيعية. لقد تم تحذير الصيادين من هذا منذ البداية، حتى من قبل حكومتهم. وجاء التحذير الأخير قبل يوم واحد أو أكثر من عملية الاختطاف، عندما اكتشف مسؤولون أمنيون قطريون أن مدونًا عراقيًا غامضًا قد نشر إحداثيات الموقع الخاص بالصيادين عبر الإنترنت.

عندما تحدثت مع أبو محمد، أكد أنه تم تحذيرهم بكثافة. وقال إنه "قبل الرحلة، قال الجميع" أنت مجنون، لا تذهب " – وكان من بين من حذرني، أمي، وأصدقائي، وإخواني،"

لماذا المخاطرة؟ سألت أبو محمد هذا السؤال في مجلسٍ استقبال في منزل عمه في الدوحة. وكان في المجلس الكبير الهادئ صف فارغ من الكراسي الفخمة الصفراء، حيث يأتي أحد الخدم بشكل دوري لإعادة ملء أكواب الشاي خاصتنا. يُذكر أنه من النادر جداً أن يجري الصحفيون الغربيون مقابلات مع أفراد عائلة آل ثاني خارج سياق المقابلات الحكومية. ويتمتع القطريون بسمعة طيبة فيما يتعلق بالخصوصية والتحفظ، وخلال زياراتي لأكثر من عقد من الزمن للدوحة، لم أقم يومًا بدخول منزل قطري. إن احترامهم لآداب اللباقة يُعد واضحاً في سلوكهم الهادئ والطريقة التي يمشون بها – وهي طريقة عائمة يلاحظها الأجانب في كثير من الأحيان. وكان أبو محمَّد متأرجحًا ومنتصبًا، ونادراً ما تحرك خلال حديثنا الكامل، الذي دام قرابة ثلاث ساعات.

وكان أبو محمد يتوقف قليلاً قبل أن يجيب على أسئلتي، ثم يشرع في شرح ما تعنيه الصقارة للناس من أبناء جيله.

"تكون حينها بعيداً عن الهواتف، وعن العمل،" وقال.

"وتبقى وحيداً مع الطبيعة. وتشعر بالحرية. "وأضاف، أنه كان هناك جانب ثقافي عميق يستحق النظر فيه. ثم نظر نحو النوافذ، حيث يمكننا أن نرى حواف التوسع العصري وطويل المدى للدوحة، مرصعاً بناطحات سحاب مستطيلة ومراكز تجارية كهفية. عندما ولد أبو محمد، في عام 1978، لم يكن أي من ذلك موجودًا. وتظهر الصور من ذلك الوقت سواحل صحراوية فارغة مع مجموعة من المباني المتهالكة على أطرافها، وهي ما بقي من أيام قطر كموقع للغطس بحثاً عن اللؤلؤ. وبحلول الوقت الذي بلغ فيه سن الرشد، حوّلت أموال الغاز الطبيعي قطر من الداخل والخارج. وأصبح عدد العمال الأجانب في البلد يفوق عدد المواطنين، وأصبحت ثقافتهم – التي كانت ذات يوم مبنية على التوفير والاعتماد على الذات – لم يعد يمكن التعرف عليها. واختفى الجوع

وحل محله السمنة. وأصبحت العائلات تشتكي بشكل روتيني من أن شبابها يهيمون في عالم لا نهاية له من الاستهلاك والمتعة. وأصبح كثيرون قادرون على شراء سيارة من نوع لمبرغيني ولكنهم غير قادرين على الحفاظ على وظيفة ثابتة.

الصقارة، وفقاً لأبو محمد، هي علاج أزمة النفط في الخليج. يمكن أن يكون تدريب الطير عبارة عن مغامرة فردية وواسعة، وتفرض قدراً من الانضباط الذاتي الذي ينقص حياة الرجال هذه الأيام على الأغلب. ويتطلب الأمر قضاء ساعات من التعود مع الطير، والقيام بأعمال متكررة باستخدام القفازات وشرك الطعام لتشكيل رابطة بين الطير والإنسان: حيث يقول الصيادون المحترفون، الطائر هو من يقوم بتدريبك وليس العكس. ويظهر كل ذلك التفاني بشكل شغوف وحماسي. ويتم تجاهل المخاطر بسهولة. الأموال – حتى المبالغ الطائلة من الأموال – تبدو بلا معنى. إذ أخبرني

أبو محمد أنه كان يخطط بالفعل للقيام برحلات إلى الصحراء لملاحقة الحبارى مرة أخرى، على الرغم من خطورة ذلك.

وقال: "الصقارة تُسبب الإدمان مثل المخدرات،" وأضاف بابتسامة خفيفة: "إنها رياضة الملوك."

المصدر: نيويورك تايمز

التاريخ: 14 مارس 2018

الكاتب: روبرت إف وورث

الرابط: https://goo.gl/7KTCmU

الإدارة العامة للترجمة – فريق اللغة الإنجليزية

الملخص:

تحدث مقال نيويورك تايمز وقائع الفدية التي دفعتها قطر لجماعات إرهابية مقابل الإفراج عن "رهائن" قطريين. وكشف المقال محاولة قطر إدخال 360 مليون دولار في حقائب سوداء عبر طيرانها إلى مطار بغداد. كما وثق المقال الاتصالات القطرية مع الجماعات الإرهابية وتمويلها لهم بمئات الملايين من الدولارات التي ذهبت إلى الحرس الثوري الإيراني وحزب الله وجبهة النصرة. كما أفاد المقال بذهاب قطر إلى أبعد الحدود من أجل إطلاق سراح الرهائن، وذلك عبر موافقتها على خطة إيرانية تتضمن نقل قسري ومميت للسكان في سوريا حسب اتفاق البلدات الأربع.